الحوادث الجامعة

والتجارب النافعة في المائة التاسعة

للشيخ كمال الدين عبدالرزاق المعروف بابن الفوطي

Un Ms. inconnu d'Ibn Fûty.

بعد التمهيد الذي مهدته في الجزء الرابع من هذه السنة (لغة العرب ٥ : ٢١٦ وما يليها) . حان لي ان اعرف ابن الجوزي مؤلف كتاب مناقب بغداد بنقلي ما ورد في كتاب الحوادث الجامعة عن انباء ابن الجوزي ولعل تراجمهم المطولة وردت في كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ الوارد في مصادر خطط الشام لمحمد كرد علي في ص ١١ .

وسيؤيد نقلي ان المصنف هو غير ابن الجوزي الذي ظنه الاثري وانه غير الذي عرفه غنيمة واما ما جاء عن اصحاب هذا البيت في مرآة الجنان لليافعي المتوفى في سنة ٧٩٨ هـ (١٣٩٥–١٣٩٦م) المطبوع في حيدرآباد الدكن في سنة ١٣٣٩هـ (٤ : ١٤٧) فانه لايروي الغليل قال الكتاب : وفيها (وفي سنة ٦٥٦ هـ) توفي سفير الخلافة محيي الدين يوسف ابن الشيخ ابي الفرج عبدالرحمن المعروف بابن الجوزي كان استاذدار المعتصم [اي المستعصم] كثير المحافظة قوي المشاركة في العلوم وافر الحشمة . ضربت عنقه هو واولاده » اه .

سنة ٦٢٦ (١٢٢٨ م) وفيها عزل « محيي الدين يوسف بن الجوزي » عن النظر بخزانة الفلات بباب المراتب ورتب عوضه كمال الدين عبدالرحيم بن ياسين ثم عزل ايضا عن ديوان الجوالي ورتب عوضه محيي الدين بن فضلان .

سنة ٦٢٨ (١٢٣٠ م) في المحرم وصل الى بغداد مظفر الدين ابو سعيد كوكبرى بن زين العابدين علي كوجك صاحب اربل ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك وكان معه «محيي الدين يوسف بن الجوزي» وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي وكانا قد توجها اليه في السنة الخالية فخرج الى لقائه فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة والامراء كافة والقضاة والمدرسون وجميع ارباب

المناصب فلقوه نحو فرسخ ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السور واعتنقا واكبين ثم نزلا . فقال فخر الدين :

لما انتهى الى مقار (كذا ولعلها مقام . ل . ع) العز والجلال ومعدن الرحمة والكرم والافضال — لازالت الابواب الشريفة ملجأ للقاصدين والاعتاب المنيفة منهلا للواردين ! — وصولك يا مظفر الدين ! رسم اعلى الله المراسم الشريفة واسماها وانفذ اوامرها في مشارق الارض ومغاربها وامضاها ! قصدك وتلقيك واحاد مساعيك اكراما لك واحتراما لجانبك . فليقابل ما شملك من الانعام بتقبيل الرغام . والدعاء الصالح الوافر الاقسام ، المفترض على كافة الانام والله ولي امير المؤمنين ! .

فقبل الارض حينئذ مرارا ثم دخلوا جميعا الى البلد. فلما وصل باب النوبي ساق (كذا ولعلها سبق) فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبل العتبة (١) وعضده الاجل نور الدين ابو الفضل بن الناقد احد حجاب المناطق بالديوان ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقي مؤيد الدين القمي وجلس هناك وركب نائب الوزارة وولده وجميع ارباب الدولة والامراء وتوجهوا نحو دار الخلافة .

فاما مؤيد الدين وولده وخواصه فدخلوا من « الباب القائمي » باب المشرعة واما الولاة والامراء فدخلوا من « باب عليان » و « باب الحرم » وانتهى الجميع الى تحت « التاج » على شاطىء دجلة . ووقفوا تحت « الدار الشاطية » (كذا) ذات الشبابيك ثم استدعي مظفر الدين من دار الوزارة بالامير عز الدين البقرا الظاهري وباجد خدم الخليفة فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الارض وكان قد نصب تحت الشباك الاوسط كرسي ذو درج فرقي عليه نائب الوزارة واستاذ الدار ابن الناقد ومظفر الدين . وسلم مظفر الدين مشيرا بيده الى الشباك تاليا

(١) اختلفت رواية ياقوت عن هذا التقبيل . قال في المعجم في مادة الحرم « ثم باب النوبي وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا بغداد ». ونقل ابو الفداء في تقويمه ص ٢٩٣ عن مشترك ياقوت ما قوله في مادة الحرم ايضا : « ثم باب النوبي وفيه العتبة التي كانت (كذا) يقبلها الملوك والرسل ». فرواية هذا الكتاب تتفق والمعجم وتخالف المستنزك الذي يظهر منه انها كانت عادة سابقة وانها اهملت . الكاتب

قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي . » فرد الخليفة عليه السلام فقبل الارض مرارا ثم شكر الخليفة سعيه فاكثر من تقبيل الارض والدعاء فاسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة فخلع عليه فيها وقلد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهبا ومشدة ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائمي المعروف بباب التمر بالمشرعة (٢) وبه كان قد دخل . وبقي في خدمته الى حيث انزل بدار شمس الدين بن سنقر .

ذكر فتح المستنصرية

سنة ٦٣١ (١٢٣٣ م) في جمادى الاخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي امر بانشائها الخليفة المستنصر بالله — وكان الشروع فيها في سنة خمس وعشرين وستمائة وانفق عليها اموال كثيرة — فركب نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الاخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها الى دجلة ونزل في شبارة من باب البشرى مصعدا الى الدار المستجدة المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي وهو الذي تولى عمارتها ثم عاد متوجها الى داره في الطريق التي جاء بها وخلع على استاذ الدار وعلى اخيه ابي جعفر وعلى حاجبه عبدالله بن جمهور وعلى المعمار والفراشين المرتبين في الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمي الصناع .

ونقل في هذا اليوم الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والادبية ما حمله مائة وستون حمالا وجعلت في خزانة الكتب (٣) . وتقدم الى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة واثبات الكتب واعتبارها والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره ايضا فحضر واعتبرها ورتبها احسن ترتيب مفصلا

(٢) اظنها شريعة خان القمر الحالية وساعقد لها كلاما اذا سنحت الفرصة فان لي ادلة على ذلك .

(٣) قال في عمدة الطالب ص ١٨٢ : « وكان المستنصر قد اودع خزانته في المستنصرية ثمانين الف مجلد والظاهر انه لم يبق منها شيء والله الباقي » .

لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها (٤) .

وفي بعض هذه الايام حضر الخليفة هناك وحضر الشيخ عبدالعزيز بين يديه وسلم عليه وعقب دعاءه بان تلا قوله تعالى: تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا » . فبدا خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه .

وفي يوم الخميس خامس رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من اعيان التجار الغرباء الى المدرسة (٥) وقد تخير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفسا . ورتب لهما مدرسان ونائبا تدريس . اما المدرسان فمحيي الدين ابو عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي ورشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي . وخلع على كل واحد منهما جبة سوداء وطرحة كحلية واعطي بغلة بمركب وعدة كاملة . واما النائبان « فجمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الحنبلي » نيابة عن « والده » لانه كان مسافرا في بعض مهام الديوان . والاخر ابو الحسن علي المغربي المالكي وخلع على كل واحد منهما قميص مصمت وعمامة قصب ثم خلع على جميع المعيدين — وهم لكل مذهب اربعة — خلعا بالحكاية . ثم خلع على جميع الفقهاء المثبتين بها قمصان دمياطي وبقاقير قصب . ثم خلع على المتولين للعمارة والصناع والحاشية وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب . وهم الشمس علي بن الكتبي الخازن والعماد علي بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم بن حذيفة المناول (٦) .

ثم مد سماط في صحن المدرسة اجمع فكان عليه من الاشربة والحلواء وانواع الاطعمة ما يجاوز حد الكثرة فتناوله الحاضرون تعبية وتكويرا ثم افيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس

(٤) مما نقله بتصرف صفا (المشرق ٥ [١٩٠٢] ١٦٤ — ١٦٥) .

(٥) ابتدأ صفا بالنقل بتصرفه المعهود .

(٦) انقطع صفا من النقل .

والشعراء والتجار الغرباء ثم انشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها .

فممن اورد العدل ابو المعالي القاسم بن ابي الحديد المدائني الفقيه الشافعي:

ما مثل الفلك العظيم لمصر في الارض قبل ايالة المستنصر(٧)

تلخيص شروط المدرسة ... [استغني عن النقل باحالتي القارىء على المشرق (٥ [١٩٠٢] : ١٦٦) وعلى اليقين (٣ [١٣٤٤ هـ] : ٤٨٩ ــ ٤٩٠) وما حذفته النقل هو : « البرز والفرش والتمهد » بعد كلمة « الصابون » .

وفي شهر رمضان وصل « محيي الدين يوسف بن الجوزي » من مصر وخلع عليه بدار الوزارة خلعة التدريس على الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وحضر المدرسة بالخلعة ومعه جميع الولاة والحجاب فجلس على السدة وخطب وذكر دروسا .

سنة ٦٣٣ (١٢٣٥ م) وفي ثامن عشر شعبان تقدم الى « ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي » بالجلوس في الرباط المجاور لمعروف الكرخي المقابل لتربة واقفته وحضر ناصر الدين (٨) ولما انفض المجلس مد سماط عظيم ثم خلع عليه في حادي عشريه في دار الوزارة وقدم له فرس عربي بمركب ذهبا

(٧) عاد صفا فاورد ما رآه من القصيدة الا هذين البيتين التاليين . اولهما الثامن بعد قول المخطوط « ومنها » وثانيهما الاخير من القصيدة . وهما :

اضحى سليمان الزمان واهله مستخدما فيها بجنة عبقر

فاليوم قد جمعت امور الدين في ارجائها وازيل عذر المعتذر

وقالت مجلة اليقين (٣ [١٣٤٤ هـ] : ٤٨٩) بعد ان اوردت من القصيدة ثلاثة ابيات انها نشرتها في سنتها الاولى ولم تعدها خشية التطويل لكني لم اعثر عليها في المجلة ولا في المستنصريات التي اقتطفتها من المجلة ونشرتها على حدة .

والظاهر ان ما اذهل مجلة « اليقين » هو ما ورد في المقالة المعنونة « المستنصرية » التي جاء منها : « ... قال العدل ابو المعالي القاسم بن ابي الحديد ... شارح نهج البلاغة . » فظنت المجلة بقوله : « شارح نهج البلاغة » ان القصيدة نشرت ضمن مستنصريات الشارح ولم تلتفت الى الاختلاف بين اسم ناظم القصيدة واسم الشارح الذي ذكرته ايضا في حاشيتها على الصحيفة الاولى من المستنصريات وقالت عنه انه عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ويروى عبدالحميد هبة الدين) بن ابي الحديد . فالقصيدة هي لغير الشارح على ما رأينا وناظمها هو ابو المعالي القاسم الذي جاء عنه في « الحوادث الجامعة » انه توفي في جمادى الاخرة سنة ٦٥٦ هـ وان اخاه عز الدين لم يعش بعده الا اربعة عشر يوما .

(٨) عدم اتساق الكلام يدل على نقص .

ومشدة واعطي علم بمشاد وجمايين (٩) وخلع على جميع اصحابه واتباعه ومماليكه واعطي عدة ارؤس من الخيل وثياب كثيرة وخمسة وعشرون الف دينار وخمسون جملا وكراعا كثيرا وآلات ومفارش وغير ذلك . وتوجه الى مستقره وقد اصلحت الحال بينه وبين عميه الكامل والاشرف .

وفيها تكامل بناء الايوان الذي انشىء مقابل المدرسة المستنصرية [للاختصار احيل القارىء على المشرق (١٠) (٥ [١٩٠٢] : ١٦٦—١٦٧) واليقين (١٠) (٣ [١٣٤٤] : ٤٩٠—٤٩١) والزهراء المجلة المصرية (٣ [١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م] : ٢٥٤) .

سنة ٦٣٤ (١٢٣٦ م) وفي هذه السنة قصد ملك الروم مدينة آمد وحصرها وضيق على اهلها وجرى بين العسكرين قتال . وقتل من الفريقين خلق كثير وقلت الاقوات وتعذرت على اهل البلد فارسل صاحبها الى الخليفة يعرفه ذلك ويسأله مراسلة ملك الروم في الكف عنه فامر الخليفة بانفاذ « ابي محمد يوسف ابن الجوزي» فتوجه نحوه قال : لما وصلت اليه وجدت عساكره قد احاطت بمدينة آمد واهل البلد في ضر عظيم فعرضت عليه مكتوب الديوان ، فذكر ان اولئك الذين ابتدأوا وقتلوا اصحابه . قال : فاخرجت خط الخليفة بقلمه وتلوت قوله تعالى : « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب» وقبلته وسلمته اليه فقام ووضعه على عينه ورأسه وقرأه وامر في الحال بالكف عن القتال والرحيل عن البلد .

(٩) اجهل الكلمة . الكاتب

قلنا : الذي عندنا ان الكلمة مصحفة عن جفتاهين ، مثنى جفتاه ، بكسر الجيم . والجفتاهان حاجبان اشقران يلبس كل منهما قبآء اصفر من حرير ، بطراز من نسيج الذهب ، وعلى راسه قلنسوة من جنس الثوب المذكور . وكانا يركبان جوادين ابيضين في رقبتيهما حلية تشبه حلية جواد الامير . وكانا يتقدمان السلطان في سيره الجليل ، وكان بايديهما قدد من نسيج الذهب وكانت اطرافها تجلل الملك ، حتى اذا كان بين يدي الجواد حفرة شمر بها ووفى شر العثور (عن تاريخ السلاطين المماليك طبعة كاترمير ١:١:١٣٥) (لغة العرب)

(١٠) في هاتين للجلتين تصرف قليل لايذكر كما اسلفنا .

سنة ٦٣٥ (١٢٣٧ م) وفي ربيع الآخر تقدم الى المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وارباب الدولة من الصدور والامراء بحضور جامع القصر لاجل الصلوة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل زوجة الامير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وصلي عليها في القبلة وشيع الكل جنازتها الى المشهد الكاظمي ودفنت الى جانب ولدها في الايوان المقابل للداخل الى مصف الحضرة المقدسة في ضريح مفرد . قيل انها كانت نفساء عن نيف وعشرين سنة . ومدة مقامها في بغداد عشر سنين وعمل العزاء في دار الامير علاء الدين وحضر النقيب الطاهر الحسين بن الاقساسي وموكب الديوان واقامه من العزاء . ونفذ المحتسب « ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي » الى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزاء .

سنة ٦٣٦ (١٢٣٨ م) في هذه السنة ملك الملك الصالح ايوب ... مدينة دمشق ... ثم ان الملك الصالح ايوب صاحب سنجار راسل الملك الجواد وطلب منه دمشق على ان يعوضه عنها سنجار فاجابه الى ذلك وسلمها اليه وانتقل منها الى سنجار فلما استقر الملك الصالح في دمشق وملكها حدث نفسه باخذ مصر من اخيه العادل محمد ... فبلغ اخاه العادل فارسل الى الخليفة يعرفه ذلك ويسأله التقدم الى اخيه بالكف عما عزم عليه من قصده . فامر الخليفة بانفاذ «ابي محمد يوسف بن الجوزي» في المضي . فتوجه اليه وقرر معه القناعة بدمشق وتوفير مصر على أخيه فاشترط اشياء من جملتها حصته في تركة ابيه فاجابه اخوه الى ذلك واصطلحا وعاد الملك الصالح الى دمشق .

سنة ٦٣٧ (١٢٣٩ م) وفيها حضر الامير سلمان بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية مجلس « ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي » بباب بدر فطاب [كذا ولعله فتاب] وتواجد وخرق ثيابه وكشف راسه وقام واشهد الواعظ والجماعة انه عتق جميع ما يملكه من رقيق ووقف املاكه . وخرج عن جميع ما يملكه فكتب اليه النقيب الطاهر ابو عبدالله الحسين بن الاقساسي ابياتا طويلة يقول فيها :

يا ابن نظام الملك ياخير من ... تاب ومن لاق به الزهد (١١)

(١١) ما نقله المخطوط سبعة وعشرون بيتا ولم يأت بالقصيدة برمتها لقوله بعد ابيات « يقول فيها » ثم كرر هذا القول مرة اخرى .

وفيها تقدم بقطع الوعظ من باب بدر وكان الواعظ المحتسب « عبد الرحمن ابن الجوزي ».

سنة ٦٣٨ (١٢٤٠ م) وفيها قدم « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » من شيراز . وحكى انه شاهد في قرية من قرى فارس تدعى شاوور صبيا عمره اثنتا عشرة سنة طوله خمس اذرع واعضاؤه تناسب خلقه . قال وحضر ابواه عندي وهما كالرجال في العادة .

سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م) [في هاتين الصحيفتين خلافة المستعصم وقد جاءت في المشرق على ما توهمت بدء عن صفا] . يعقوب بعوم سركيس

(اربل)

Irbil

اربل (وبعض الاهالي يقولون ارويل والبعض الاخر اربيل) مدينة واعلة في القدم معنى لفظها « مدينة الاربعة الالهة » وهي اليوم ام البلاد الكردية وبؤرة تجارتها .

وهي تقسم الى ثلاثة اقسام : الكوترك (لا الكورتك كما جاء في بعض المقالات من جرائد العراق) والقلعة والخانقاه .

واهاليها كلهم اكراد نسبا وجنسا . بينهم من ينتمي الى عشيرة (بالك) الراوندوزية الاصل . وبينهم من ينتمي الى عشيرة (الجاف) المشوتين في لواء السليمانية . وبينهم من عشائر (سورجي) و (كردي) و (ماموندي) و (دبتربلي) .

ولسان الجميع الكردية والتركمانية . واكثرهم نبذ التركية .

ويزعم ان في (القلعة) بيتين او ثلاثة من التتار الاقدمين .

والشرفاء والاغوات الثروة العائلة ولهم جنان عظيمة في صدر (القلعة) ويمتازون بشهامتهم وابائهم نفسهم وسمو اخلاقهم وحسن التفاتهم الى الضيف واكرامهم اياه .

وكانت اربل في جميع الازمان ميدانا لحروب عديدة بين مختلف الامم : بين الايرانيين واليونانيين ، بين ماذية ولوذية ، بين العباسيين والاتراك ، بين العباسيين والامويين ، بين الامير محمد باشا (كور ياشا) الراوندوزي وعلي باشا ورشيد باشا الكبير الصدر الاعظم التركي . دع عنك حروب الاقدمين بين الاشوريين والآريين ، بين الكلدانيين او البابليين والمصريين الى غيرهم .